الاختلاف جوهر التواصل بين الناس.. وأساس تفتّح وعي النفس (2/1)

كل مخلوق أو شيء في الكون هو جزء من كلّ يتواصل ليتفاعل معه، فالتواصل هو عصب الحياة والوجود.

والتواصل هو تواصل الوعي الإنساني مع الأشخاص والموجودات على الأرض، في النظام وفي الكون. فالإنسان، كما توضح علوم المعرفة الإيزوتيريك، هو تجسيد الوعي في نظام الحياة، وهو تعبير الوعي الفردي عن كيان الفرد وعمّا يمثّله كشخصية لها دورها في المجتمع وفي نطاق العمل.. فالتواصل هو تمرير المعرفة أو الحركة من محور إلى آخر، سواء عبر الجسد أو بين شخص وآخر، وبالتالي هو ترجمة فعل الحياة في الفرد داخل نطاق الكل الذي يحويه.. ولعل أئمّة فلاسفة الإغريق، هم أعرق من ترجم المعرفة إلى أعمال خالدة وصلت إلى الأجيال من بعدهم، على امتداد آلاف السنين..

المعرفة، الوعي، التواصل؛ ثلاثية تعبّر عن الكيان الإنساني تماماً، كما يعبّر هذا الكيان عنها في أوجه تفاعله. ففي ضوء علوم الإيزوتيريك يتكشّف لنا أن المعرفة هي مصدر الوعي، والوعي هو أساس اللامادة (أو الذبذبة)، واللامادة هي أساس تكوين المادة في الكون والنظام والإنسان. وجميعها تتفاعل من خلال التواصل لتحقّق توسّع المعرفة والوعي، في «أقطاب» الكون وصولاً إلى عالم المادة... وعلى مستوى الكيان الإنساني، اللامادة تتمثّل بأبعاد الوعي التي لا تُرى بالعين المجرّدة، كالصحة أو الهالة الأثيرية، ثم المشاعر والفكر في النفس البشرية. إلى جانب أبعاد أخرى أرقى وأشف منها تؤلف الذات الإنسانية؛ أما المادة، فتتمثّل في الجسد. وهذا التكوين المادي واللامادي للكائن البشري، أدى إلى نشوء ازدواجية الظاهر والباطن في الإنسان، فالفكر والمشاعر هما أبعاد وعي باطنية لا نستشفّها في الآخر ما لم يعبّر عنها في التصرف أو الكلام أو الأداء. من هنا تركزت جذور التواصل الإنساني في اللامادة كتعبير عن أبعاد وعي الكيان غير الظاهرة أو غير المنظورة، وهذا ما نلاحظه في الحياة اليومية بحيث يتركّز التواصل في التعبير عمّا يعتمر في الفكر والمشاعر على حد سواء.. أما الجسد ـ ممثّل المادة في الكيان الإنساني ـ فهو «النافذة» التي تطل منها هذه الأبعاد على العالم المحسوس لتحقيق التواصل..

والتواصل هو أساساً تواصل المعرفة. فكل معرفة، كل معلومة، وكل وعي جديد يكتسبه الفكر، إنما يتم اكتسابه بفعل التواصل. وتحقيق الاكتساب هذا، يعني «دخول» وعي جديد إلى النفس لم يكن فيها أصلاً، أي «دخول» شيء جديد، شيء مختلف. وذلك يوضح أن وجود الاختلاف مسألة جوهرية في تحقيق التواصل، ولكن لإدخال أي شيء جديد ومختلف إلى حيز وعي النفس، يجب تحقيق الانفتاح أولاً على هذا الجديد وعلى الاختلاف نفسه.. إن النفس عامة لا تستسيغ ما يختلف عنها، ما يؤدي إلى الاختلاف في وجهات النظر، أو حتى إلى نشوب الخلافات بين الأفراد في الحياة اليومية. وهذا ما يؤثر سلباً في التواصل، وبالتالي في مقدرة النفس على اكتساب معرفة جديدة.

م. هيفاء العرب
www.esoteric-lebanon.org

الاختلاف جوهر التواصل بين الناس.. وأساس تفتح وعي النفس (2.2)

انطلاقاً مما سبق في العدد الماضي يتّضح لنا، أن الانغلاق وعدم تقبّل الاختلاف، يعزّز الأنا في النفس ويجعلنا نركّز على أخطاء الآخرين أو سلبياتهم، لا على ما يمكن أن نتعلّمه من تواصلنا معهم ومن وجودهم في حياتنا. وتركيزنا على أخطائهم يجعلنا نتغاضى عن أخطائنا وسلبياتنا فننسى أنها موجودة فينا أيضاً، ونبتعد بالتالي عن الموضوعية والتجرد في التعامل الحياتي اليومي، ما يجعلنا لا نتنبّه إلى أخطائنا إلا بعد مرور زمن عليها، أو إذا ما استوقفنا أحدهم معترضاً على تعاملنا أو تصرفنا حياله..

إن السلوك الإيجابي أساس التواصل. والسلوك الإيجابي لا يعني المجاملة والدبلوماسية في التعامل مع الآخرين، بل يعني الانفتاح على الاختلاف، وتقدير ما لدى الآخر. فذلك يؤدي إلى تسريع التعلّم، لا بل إلى «تسريع زمن الوعي» في النفس، أي تسريع آلية اكتساب النفس للمعرفة. فالذهن في هذه الحال ينصرف إلى العمل البنّاء، بدل الانشغال في الحكم على الآخر والاختلاف معه أو تعبئة النفس بسلبيات جديدة..

المبادئ نفسها تنطبق على التواصل بين المرأة والرجل. فمن أهم منغّصات الحب، عدم الدراية بشؤون وسبل التواصل بين الجنسين، وعدم النجاح في إيجاد «اللغة» التي تؤثّر في الشريك إيجاباً، وتعبّر عما يعتمر في النفس. والمشكلة أن كلا الطرفين يعزو ذلك إلى الاختلاف بينهما، في حين أن المشكلة تكمن في الانغلاق على الآخر. فالانفتاح الحق يحوّل الاختلاف إلى غنىً وتنوع، وإلى آفاق لامتناهية للتعلم والتبادل المعرفي والارتقاء في الوعي..

في كل نفس بشرية، هناك صفات سلبية وأخرى إيجابية، وتحقيق التواصل يعني تغليب كل إيجابي في النفس على السلبي فيها، والعكس صحيح. ويكفي التفكر في التواصل الرائع الذي تحققّه أعضاء الجسد المختلفة، لتحقيق الحياة فيه.. فالتواصل ضرورة حياتية، والاختلاف عصب التواصل. فعلى سبيل المثال؛ عندما نقطع علاقتنا بأحد ما، يؤثر ذلك سلباً فينا وعياً أو لاوعياً منّا. والعكس صحيح، فقطع العلاقة ينتج عنه إحساس سلبي نعتقد أننا ننساه مع الزمن، ولكنه يبقى محفوراً في النفس بدليل أننا ما أن نرى الشخص الذي قطعنا علاقتنا به، فإن اللقاء يستفز المشاعر والأفكار السلبية كافة التي رافقت ظروف قطع العلاقة..

أما إن نحن حققّنا انسيابية التواصل الصادق مع الآخر، فإن لقاءنا للشخص الذي حققّنا ذلك معه يجلب لنا على الأقل البسمة، والذكرى الصافية التي تترك في النفس أثراً إيجابياً يعزّز فيها الراحة الداخلية.. فجل ما ينشده المرء، كل مرء في حياته، هو الراحة الداخلية والاستقرار والسعادة. وجميعها عبارة عن حالات متنوعة تحققّها النفس، والقاسم المشترك بين هذه الحالات هو الإيجابية في التعامل مع النفس ومع الآخر. والتواصل هو الوسيلة لتحقيق ذلك، لا بل الوسيلة لتعلم كيفية تحقيق ذلك، والارتقاء في هذا التعلم كلما تقدّمنا في العمر.

الانفتاح على الاختلاف لتعزيز التواصل، يجعلنا نرتقي في التعبير عن أنفسنا، كما يجعلنا نبني الجسور في علاقاتنا مع الآخرين، والتي ترتقي بنا وترفع مستوى وعينا الحياتي في أطر العمل والحياة الخاصة والاجتماعية.. ومن لا يشتهي أن يرتقي فيها مجتمعة لرفع مستوى النفس بالمعرفة التطبيقية، العملية؟!

إن المقدرة على تحقيق التواصل تتمحور حول مستوى الانسجام الداخلي في النفس، وتحقيق الانسجام يتمحور حول الانفتاح على كل جديد واستيعابه، بعد فهم أهمية وجوده، والانفتاح على الجديد يعني وعي حقيقة أن الاختلاف في عالم المادة هو أساس الارتقاء في الوعي، لأنه انعكاس لحقيقة كبرى، حقيقة أن الوحدة هي مجموعة أجزاء.. متجانسة..

م. هيفاء العرب

www.esoteric-lebanon.org